جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التربية الفنية
المرحلة الرابعة
المادة: تقنيات مسرحية

المحاضرة الثانية: الممثل

مدرس المادة: أ.م.د مزاحم خضير حسين

الممثـــــــل :

الممثل أولا : لا بد من الإشارة إلى أن الممثل هو الأصل في العرض المسرحي منذ القدم، فالممثل بدأ من حيث كانت الجوقة ليدخل معها في حوار، وترجع هذه الإشارة إلى 535 ق.م، وهنـــا الإشـــارة إلـــى ثيســـبس كممثـــل أول يـــدخل فـــي العـــرض المســـرحي.
ولا بد من الإشارة إلى أن المخرج لم يكن معروفا حتى مجيئ القرن التاسع عشر، ويذكر بهذا الخصوص ساكس مينـنجن Sax Mienengin حيث ارتبط الإخراج المسرحي به في 1874م، فكان الكاتب هو من يقوم بعمل الإرشادات ويقوم بتمثيلها أيضا، وعليه يمكن القول بـــأن الكاتـــب هـــو المخـــرج الأول بالمشـــاركة مـــع آخـــرين.
ولا بد من الإشارة إلى أن عملية الإخراج هي بداية العرض المسرحي، ولا يختلف اثنان على هذا الشيء، وخاصة في مرحلة باتت متقدمة بالإخراج المسرحي، من خلال منهجيات ورؤى إخراجية ما زالت تدرس وتمثل حتى الآن، وقد مرت بمراحل متعددة حتى باتت تمتاز بالتجريب بين فترة وأخرى، وهي بالتالي تصورات لخط سير المسرحية من أولها حتى نهايتها، من خلال مناقشة جملة من القضايا، الفنية والتقنية، والإدارية، فهذا المسرح لا يمكن أن يكون مـــــــن دون هـــــــذه الجزئيـــــات الـــــــثلاث.
قدرة الممثل وتميزه : هذه الدراسة تهتم بالممثل بشكل عام، وهو المرسل للعمل المسرحي، فالممثل حامل للمعرفة الإنسانية التراكمية، فهي ليست مجزأة، وهذه المعرفة تتكون من عناصر كثيرة تمثل الطريقة والمنهج الذي يمثل السلوك الإنساني، من خلال التجارب، والمعارف المكتسبة ذاتيا ومن الآخرين، وعندما نأتي إلى المسرح نتصور أن الممثل من سيقوم بتمثل التجربة والسلوك الإنساني، بالتالي هو من سيمثل كل واحد منا أو سيمثل الإنسان بصفة عامة، ولكن هذا التمثيل ليست صيغة الحياة التي تمر يوميا، وربما تكون مكرورة، والتي لا تعطي أي اندهاش أو استهجان، وبالتالي فهي لن تقدم لنا خبرة ومعرفة جديدة ، إن قيام الممثل بإعادة تجسيد سلوك الإنسان إنما يهدف إلى خلق صورة مسرحية معبرة ومتكاملة، وهذا ما يشكل جوهر فن التمثيل، وتتوزع سلوك الإنسان حالتان إحداهما فيزيائية، والأخرى نفسية وليس لإحداهما أن تنفصل عن الأخرى وتختزلها، إن كل فعل من السلوك الإنساني هو فعل نفسي فيزيائي متكامل لا يتجزأ ،هذا السلوك يبين عن أن الإنسان يحمل المعرفة بكل ما لديه من طاقة، ونتحدث هنا عن طاقتين، الطاقة الذهنية والنفسية والمعرفية، والطاقة الجسدية وهي تحمل المعرفة والتجربة الإنسانية أيضا ، فإن سيكولوجية الممثل وجسده في وحدتهما يشكلان في الوقت نفسه موصل الإبداع ومادته ، الممثل وهو يقف على خشبة المسرح يتشكل من متعدد، الإنسان العادي وهو مثل المتلقي الذي يشاهده، والإنسان المتخصص " الفنان " وهو هنا يمتاز عن الآخرين بهذه الميزة بما لديه من طاقات تخييلية تختلف عن الإنسان العادي، وهو كذلك، يستطيع أن يجسد لنا بمقدرة واعية جدا التجربة الإنسانية كإنسان مبدع يختلف مره أخرى عن الإنسان العادي، فهو لا يعيش على منصه المسرح بصفته الشخصية فقط، وإنما بصفته فنانا وصانعا ومبدعا ... ولهذا فإن مشاعر الممثل الشخصية تدخل في تفاعل مع العمليات الســـيكولوجية الفيزيائيـــة التـــي يشـــعر بهـــا الممثـــل الفنـــان
نجد أن هذه المشاعر هي الموجودة لدى الإنسان العادي وهي جملة من الأحاسيس والرؤى، ولكن الفارق كبير بين الإنسان العادي بمشاعره، والإنسان الممثل الفنان المبدع القادر على نقل تجارب الآخرين إلينا بصورة فنية مختلفة عما تدور في الحياة اليومية، والغاية من ذلك الوقوف على المعرفة الإنسانية، واكتساب معرفة وتجربة جديدتين، وكل هذا من أجل التأمل والتغيير أيضا، ولا ننسى جمالية المتعة والتسلية، فيجب على الممثل أن " يندمج بمشاعر دوره لكن بالقدر المطلوب، للعثور على شكل التعبير الصحيح الذي يعبر بدقة مطلقة عن الشعور المطلوب، والفكرة المطلوبة، والفعل المطلوب لإيصال الشكل – فيما بعد – إلى أقصى ما يمكن التعبيربدءاً ، لايمكن مقارنة الجسد الإنساني على المسرح ، كعنصر مرئي ، مع باقي العناصر

التي تشكّل صورة العرض المسرحي ، وذلك لأن الممثل هو الذي يمنحها الحركة ولولاه فإن كل العناصر الفنية الأخرى على خشبة المسرح ، المرئية منها والمسموعة ، تبقى جامدة لاحراك فيها وهوالذي يعيد صياغة تشكيلها بوجوده ، كونه العنصر الحي الوحيد بين الأشكال الساكنة والذي يتمتع بالأحاسيس وبالروح التي يحقق حضورها إرتباطاً حسياً بين جميع العناصر من جهة ، وبين عموم صورة العرض والمتلقي من جهة أخرى ، وبشكل تعبيري يستثير ذائقة المتلقي ويحقق لديه المنظور الجمالي الذي هو خلاصة الإشتباك الإستراتيجي بين العرض والمتفرج وهذا الإشتباك هو تداخل مفعم بالحيوية ومشترك بالأفكار والمشاعر التي تنبع من الطرفين ـ المتفرج العرض ـ ولايكاد يتحقق لولا ديناميكية الحركة التي يكتسبها العرض من التعبيرات الجسدية والصوتية للممثل ، فالفكرة الأساسية للمسرح هي أنه حركة تُشاهَد ، وأن الروح تعيد تشكيل الصورة،إذ أن المتفرج والممثل يشتركان في تبادل المشاعر والأحاسيس وجدانياً ، من خلال إنبعاثها من المرسل ـ الممثل ـ واستقبالها من المُرسَل اليه ـ المتلقي ـ عن طريق التعبيرات الجسدية والصوتية للممثل الذي يقوم بدور الإرسال من فوق خشبة المسرح ، والتي يقوم فيها بتجسيد الشخصية المسرحية التي تسهم إنفعالات المتفرج داخل صالة الجمهور بتكوين الصورة النهائية لها بالإنطباعات والأفكار . فالخطاب اللغوي للشخصية المسرحية ببعديه اللفظي ـ الكلام المنطوق ـ من قبَل الممثل ، وغير اللفظي المتمثل بالتعبيرات الجسدية والإيمائية ، يستقبله المتلقي عن طريق مشاركته الوجدانية ، إذ يكوّنان سوياً عناصر الشخصية المسرحية التي يؤديها الممثل، فالممثل يلعب دوراً مهماً في عملية الإتصال بين العرض والجمهور (المتلقي) ، بل هو المحور الرئيس لفعلي المشاهدة والسماع واللذان يتأسس المسرح عليهما لأن الممثل يؤدي دور الوسيط إذ تنتقل الشخصية من خلاله الى المتفرج ، فالممثل يؤلف بشخصه القناة الأولى التي تصل من خلالها الشخصية. ويقوم الممثل بتحقيق ذلك عن طريق الأحاسيس والمشاعر والإنفعالات الصادقة التي يعبّر من خلالها عن الشخصية المسرحية ويكوّن لها شكلها الذي تظهر عليه عن طريق إستثارة إنفعالاته الداخلية لتكون إطاراً لشكل الشخصية الخارجي ، وهذا ماقترحه (ستانسلافسكي) في منهجه التمثيلي والذي يصفه (شايكن) بأنه خارطة الطريق التي ترشد الممثل الى التعبير التلقائي عن الشخصية من خلال مهام يصنعها ويحددها لنفسه في شكل أفعال داخلية (..) ويدمج حياة الشخصية الداخلية في التعبير الخارجي عنها وهذا يعتمد على المهارة والتميّز في الأداء الصادق والذي يعكس شكل الشخصية المسرحية ويعطيها ملامحها الخارجية وانفعالاتها الداخلية من خلال التعبير الذي يصوغه الممثل بشكل مادي خارجي ومعنوي داخلي . وهذا مايُطلق عليه (ستانسلافسكي) بـ(الإرسال الشعاعي) الذي يُعبّر عن الإتصال الداخلي ويُسهم في خلق روح الحياة الداخلية والإنسانية للدور ، وما على الممثل إلاّ أن يستخدم حواسه جميعاً في تلك العملية إستخداماً إبداعياً ، فالإرسال الشعاعي هنا يعني إمتلاك السيطرة الداخلية والخارجية في آن واحد ، وهو بذلك يرينا مقدرته كممثل في تجسيد الدور المناط به والذي عن طريقه يُضفي على العرض قيماً جمالية وفكرية متنوعة فنحن لانتمتع بالدور وحده بل بالممثل أيضاً ، وهو من جانبه ، أي الممثل ، لايعرض الدور فقط ، إنه يعرض مقدرته إنه يعرض نفسه كممثل (..) فهو يعرض الإمكانات المتباينة للكيان الذي يجد نفسه فيه ، وبذلك يؤثر في المتفرجين بصدق أداءه للشخصية وقوة إنفعالاته ومقدارإقناعه ومدى براعته وحيوية تعبيراته التي تتناغم وتنسجم مع باقي العناصر الفنية المكونة لمجمل الصورة الدرامية للعرض المسرحي ، من خلال الصوت وطريقة نطقه ، والتعبيرات الجسدية وطبيعة صياغتها وتشكلها والتي تعزّز الدلالات الفكرية للنص المسرحي فالممثل يقوم بتوظيف جسده وصوته (..) لتحريك دلالات النص المسرحي حتى تصبح مرئية ، ومسموعة ، بمساعدة عناصر أخرى ـ البصرية والسمعية ـ تندمج معه في علاقة ـ جدلية ـ يتم من خلالها بث مجموعة من الدلالات والمعاني ـ المقصودة ـ الى المتلقي

ولايتم ذلك للممثل بدون استحضاره للإعتبارات التكنيكية الخاصة به ، والتي يُحدد فيها علاقاته المتنوعة فيما حوله ، ويلخص (الكسندر دين) هذه الإعتبارات التكنيكية بما يلي:

1/ علاقة الممثل بأجزاء خشبة المسرح .
2/ علاقة الممثل بالجمهور .
3/ علاقة الممثل بالممثلين الآخرين من حوله .
4/ طريقة تنفيذه الواضحة وتطويعه لنفسه بشكل مرن فيما يتعلق بالأداء التمثيلي والملحقات .

فلابد للممثل من التعرف بشكل تام وأكيد على جميع أجزاء خشبة المسرح ومداخلها ومخارجها ، كي يستطيع رسم حدود الشخصية جغرافياً وعدم وضع نفسه في أماكن غير مهمة تضيع معها انفعالاته وتعبيراته ، وهذا ـ بطبيعة الحال ـ يتحقق من خلال (ميزانسين) العرض المسرحي الذي يضعه المخرج لتحديد حركة الممثل أمّا علاقة الممثل بالجمهور ، فكما مرّ سابقاً ، فإن التفاعل المتبادَل فيما بين الأثنين (الممثل ـ الجمهور) وصدق الأداء وإجادته بالنسبة للممثل يكون له تأثيره المباشر والحيوي في إيصال المتلقي الى شواطيء الإدراك للمعنى والإحساس بالجمال وتذوقه لتمازج المشاعر وتدفقها، فإدراك المُشاهد للعرض المسرحي يأتي من إحساسه المنسجم مع الإنفعالات والأحاسيس المتدفقة من قوة وحيوية أداء الممثل فوق الخشبة ، والذي يوصل المتلقي الى الإحساس بالجمال .

والإعتبار التكنيكي الثالث هو علاقة الممثل بالممثلين الآخرين فيما حوله ، لخلق التناغم في الحركة والأداء والتعبير من خلال التنسيق المشترك لمجموعة الممثلين بغية إيصال المعنى الى المتلقي فاللغة الصوتية والجسدية للممثل تستند الى عنصر الإنفعال ، ومن ثم القدرة على إحداث الإتصال الحي بين الممثل وزميله على خشبة المسرح من ناحية ، وبينه وبين المتلقي من ناحية أخرى ، حيث تتوحد المشاعر والأفكار حول العالم المُتَخيَّل ، عالم العرض المسرحي فالإنسجام الذي يحققه الممثل في المنظومة البصرية يكشف عن فهم وتعميق دلالات العرض المسرحي وإبراز القيم الجمالية المتنوعة التي تستثير المتلقي في المتابعة والفهم والإدراك للمعنى المتجسد أمامه بصرياً وسمعياً وكذلك للدلالات التعبيرية المختلفة . فحركات الممثلين ينبغي أن تكون متناسقة ومنتظمة ومنسجمة بشكل تام ، وبالتالي فهي تعبّر عن الحالة النفسية للشخصية وتبرز مضمون العرض وشكله الطرازي وقيمه الجمالية ، وبهذه الصورة تتألق القيم التشكيلية للحركة وتكتسب صفاتها الجمالية .

أما طريقة تنفيذ الممثل لدوره ومدى مناسبة أداءه للشخصية المسرحية المناطة به ، وتعامله مع ملحقاتها المسرحية فتكتسب بُعداً حيوياً حاسماً من خلال البروفات المستمرة على كافة التفاصيل ، فالممثل في المسرح ليس بمقدوره إعادة أداءه للمشهد الذي يقوم به ، كما يحصل في التلفزيون أو السينما ، لأنه على تماس مباشر مع عشرات العيون التي ترصد جميع تحركاته وتعدّ عليه أنفاسه خلال العرض المسرحيفالممثل عندما يقوم ببناء عمله ، لايمكنه التجريب ، التكرار ، العودة الى الوراء ، عمل الممثل يبدأ وينتهي حيث يبدأ وينتهي أداؤه.

إذن لاتوجد فرصة أمام الممثل لكي يعيد تجربة الأداء الذي يحدث مرة واحدة في كل ليلة عرض ، فعليه أن يتحقق من صدق أداءه في البروفات ويطوّع نفسه من جميع النواحي ـ الجسدية والصوتية والفكرية ـ من أجل إخضاع الشخصية المسرحية لسيطرته ، بتمكنه من
تجسيدها بشكل متميز يؤدي الى التأثير في المتفرج وشد إهتمامه وإنتباهه لمتابعة العرض والتمتع بالمعرفة التي يتيحها له الممثل ، من خلال قوّته التحويلية في التلّون من شخصية الى أخرى والتي يجسد بها الأفكار والكلمات بقدرته التعبيرية والدلالية في جعل كل ماهو غير مرئي الى مرئي فوق الخشبة فالممثلون يمتلكون قوة تحويلية على الخشبة ، قوة تختلف كل ليلة ، وهي قوة خطيرة (..) فالممثلون عليهم كل ليلة دخول خشبة المسرح المظلمة والفارغة ويعيدون بثقة تامة خلق الرؤية لجمهور يكادون لايرونه

إن العلاقة التعبيرية بين العناصر الفنية للعرض المسرحي يستطيع الممثل أن يوحدها ويعززها بحضوره ، ويكسبها قيماً جمالية متنوعة من خلال الحركة والمعنى ، وقد أكدت أغلب التنظيرات والإتجاهات الإخراجية المعاصرة على أهمية الممثل في تنشيط الفضاء المسرحي وبث الروح فيه ومن ذلك ، على سبيل المثال ، رؤية (آبيا) لمَشاهد العرض المسرحي لديه والتي تعتمد

على الحجم وعلى الضوء اللذان تحييهما حركة الممثل (..) فحركته تخلق فضاء المشهد (..) والضوء الفعّال ينشط العلاقة بين ممثل يؤدي وبين فضاء العرض خالقاً بذلك مناخاً لايصف ولكن يوحي كذلك يؤكد (آبيا) على قدرة الجسد الإنساني في تنظيم الديكور المسرحي ، وذلك إعتماداً على رؤيته ـ آبيا ـ في رفض المنظر الثنائي الأبعاد (المرسوم) والإعتماد على الأبعاد الثلاثة لجسد الممثل في الفراغ لتحديد نِسَب الديكور ومفرداته والتي يجب أن تتناسب مع حجم الجسد لكي تخلق الإنسجام والقياسات الصحيحة بين الممثل وبين الديكور من حوله في الفضاء المسرحي إذ أن الجسد الإنساني الحي ، هو المنظم للديكور المسرحي ، وهو الحجة والسلطة النهائية ، في مجال إمكانات تحقيق الديكور ومن جهة أخرى ، بالإمكان أن يشكّل جسد الممثل بتعبيراته الحركية إحدى علامات أو عناصر التصميم في الفضاء المسرحي من خلال إيهام المتفرج بشكل البيئة التي يحقق حركته فيها ، فيصطنع مثلاً فتح باب مُتَخَيّل لاوجود له ، بصورة ملموسة ، ومقنعة من ناحية إجادته وإتقانه لتعبيراته . فتخلق حركة الممثل هنا على خشبة المسرح عنصر من عناصر التصميم في المشهد المسرحي ، بمعنى أن الممثل باستطاعته إبتكار حركات وأشكال تعبيرية مختلفة يحقق فيها تأثيرات متعددة لأشياء لاوجود لها مادياً وفعلياً على الخشبة ، وهذا يأتي من استخدامه لخياله في إيجاد الأفكاروالمقترحات للمساعدة في المعالجات الإخراجية وكذلك النواحي المادية فالتمثيل الجيد ممكن أن يكون أكثر إيحاءاً من المؤثرات باهضة التكاليف،إن العرض المسرحي يزخر بالعناصر الفنية البصرية والسمعية المتنوعة والتي تقوم بأداء وظائفها التعبيرية التي يتمخض عنها القيم الجمالية والفكرية بشكل متناغم ومنسجم فيما بينها مجتمعة ، ولايمكن لهذا أن يتحقق أو ينسجم بدون وجود الممثل وتفاعله مع هذه العناصر وتفاعلها مع أداءه وحضوره . بإعتبار أن الممثل تتمركز حوله المعاني ، لأنه العنصر الديناميكي في الإطار المسرحي ، فالممثل بحركته المتواصلة في تجسيده للشخصية ، إبتداءاً من ماكياج الشخصية وإرتدائه ملابسها ، والعمل تحت الإضاءة الفنية المُسلَّطة عليه بضيائها وظلالها ، وحركته المستمرة مع ، وبين القطع المنظرية ـ الديكورية ـ بشكل حيوي وإستخدامه للملحقات المسرحية بمختلف أنواعها وأشكالها ، كل ذلك يبعث الروح في تلك العناصر الجامدة ويجعلها تحيا من جديد فوق الخشبة لتبدع معه وتعزف معزوفة العرض المسرحي بشكل جمالي ، وإيصاله الى المتلقي بصدق ليستحوذ على إهتمامه ومشاعره ، الأمر الذي يساعد على تحقيق الهدف الفكري والجمالي المنشود من وراء تقديم تلك العروض المسرحية ،**تكمن أهمية الممثل في العرض المسرحي مقدرته على فهم الشخصية والدور الذي يلعبه على خشبة المسرح، إن امتلاك الممثل لطاقة خلاقة قادرة على تفهم الدور، هو ما يجعل الممثل متمكنا من خشبة المسرح وقادرا على التفاعل مع المتلقي، فالفضاء المسرحي هو الأهم لدى الممثل، وهذا الفضاء يتكون من جزئيات عديدة إضافة إلى المتلقي، الأمور الفنية التي تتوافر عند ممثل آخر وكذلك المخرج، والتقنية التي تتمحور على اتمام العرض المسرحي بقدرة عالية، من خلال اندماجها بالعرض كفكرة وأداء وتوصيل للمتلقي، ولهذا يشترط في الممثل أن تكون لديه الملكة للتمثيل، وليس العملية تبدو عادية من دون اعتماد على ذهنية قادرة على القيام بالعمل، ولهذا يبدو أن الممثل الذي يقوم بأي دور فاشل بطريقة أو بأخرى، لأن الفطرة والطبيعة الإنسانية للشخصية كل شخصية والمعرفة والثقافة التي تحملها كل شخصية، تجعل من كل شخصية ذات صفات مميزة تختلف عن الشخصية الأخرى، وعليه فإن قبول كل العروض وكل الأدوار، هو بمثابة اشتغال على عرض مسرحي كنوع من الرشوة واللامبالاة، وبالتالي هو عملية رديئة تنعكس سلبا على العرض المسرحي، ولذا يجب على الممثل الواثق بنفسه بما لديه من الإحساس والقدرات الجسدية والذهنية، أن لا يقبل كل عرض مسرحي يعرض عليه ليقوم به، مهما قيل عنه بأنه ممثل مبدع، فالممثل المبدع هو الذي يدرك تماما أين يكون وفي الوقت المناسب أيضا. عندما نتبين أهمية ودور الممثل على خشبة المسرح لا يستطيع أحد أن ينكر هذا سواء على مستوى الإخراج أو التمثيل أو النص والنقد، وأخيرا المتلقي، نؤكد على دور الممثل في نقل المعرفة إلى الآخرين، وهو يحمل على عاتقه خشبة**

المسرح من دون منازع، وهذا ما يجعل فسيفولد مايرخولد يصفه بأنه ، العنصر الرئيسي على خشبة المسرح وكل ما هو خارج عنه مهم قدر كونه ضروريا له ،إن الاهتمام بالمسرح والممثل أصبح يتم عبر الإخراج المسرحي، ليكون المخرج هو الوسيط، وليكون الإخراج الحديث ،وظيفة ترمي إلى المحافظة على تماسك الفرجة ووسيلة فنية ، وبالنظر إلى الإخراج والمخرج الذي يتعامل مع النص والممثل، سواء أكان انتاجا فرديا أو جماعيا، فهو يهدف إلى توصيل رؤيته وتفسيره للعرض المسرحي إلى المتلقي، عبر الممثل حتى في ظل غياب التقنيات المسرحية كمسرح فقير لا يهتم كثيرا بالتقنيات، بقدر ما يهتم بتوصيل الرؤية الإخراجية، والرؤية التمثيلية عبر جسد الممثل، عندئذ سيقع كل العمل المسرحي على كاهل الممثل أثناء وقوفه على خشبة المسرح.